مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 525-549

علم الكلام والفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي ومساهمته في صناعة البعد الحضاري في المجتمع الجزائري

The theology and reformist thought of Sheikh Al-Arabi Al-Tebsi and his contribution to the creation of the civilizational dimension in Algerian society

سني احمد
أستاذ مؤقت بجامعة عين تموشنت "الحاج بوشعيب"(الجزائر).
البريد الالكتروني المهني: ahmedsenni46@univ.oran.dz

تاريخ الإيداع:	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/11/21	2022/02/12	2022/04/16

الملخص: يهدف هذا البحث إلى التعرف على رائد من رواد الفكر الإصلاحي في الجزائر وعضو مؤسس لجمعية العلماء المسلمين المتمثلة في شخص الشيخ العربي التبسي ومدى مساهمته في صناعة البعد الحضاري للمجتمع الجزائري، في دراسة وصفية تحليلية. تمت الاستعانة بالسيرة الذاتية للشيخ وبعض المقالات الصادرة عنه وبعض المراجع التي تناولت نشأته وجهاده ونهضته الإصلاحية وخوضه في علم الكلام. وبما أن الشيخ التبسي يتميز بفضائل وخصال وحس مدني راقي، دفعه هذا إلى إنجاز عدة أعمال وتسجيل عدة مواقف في ميدان الفكر الإصلاحي وإنبعاث النهضة الثقافية المشعة في المجتمع الجزائري، هذا من جهة ومن جهة أخرى مساهمته في النضال وبعث روح الجهاد والمقاومة ضد المستعمر الفرنسي بالقلم والكلمة، ذلك بهدف استنهاض الأمة وشحن الشعب الجزائري الأبي بالطاقة الروحية والإيمانية وتوجيهه نحو ثورة مباركة تضمن للمجتمع الجزائري هويته وبعده الحضاري والثقافي والإرث الإنساني. وهذا لا يتأتى إلا بغرس القيم الحضارية والمحافظة على القومية العربية الامازيغية ومرجعيتها الدين الإسلامي بطرح عقلي وبالحجة البالغة. من هنا أردنا أن نسلط الضوء على الجهد والدور الذي لعبه الشيخ التبسي في المجتمع الجزائري من خلال نشاطه الفكري والإصلاحي والفلسفي الذي تبناه بعلم الكلام.

الكلمات المفتاحية: *العربي التبسي; الفكر الإصلاحي; علم الكلام; البعد الحضاري*

Abstract: This research aims to identify a pioneer of reformist thought in Algeria and a founding member of the Association of Muslim Scholars, the person of the Tibetan

Arab Sheikh, and his contribution to the cultural dimension of Algerian society, in an analytical descriptive study. The biography of Elsheikh, some articles issued by him and references to his origin, jihad, reformist renaissance and speech science have been used. Since Sheikh Tibesi is characterized by virtues, qualities and a high-quality civic sense, this has led him to carry out a number of actions and to record a number of positions in the field of reformist thought and the resurgence of radioactive culture in Algerian society. This can only be achieved by instilling civilizational values and preserving Amazigh Arab nationalism and its reference to the Islamic religion by reason of reason and extreme argument. This is why we wanted to highlight the effort and role played by Sheikh Tibsi in Algerian society through his intellectual, reformist and philosophical activities, which he has adopted in speech.

Keywords: *Alarbi Altebsi ; theology ; Reformist Thought ; The Civilization Dimension*

مقدمة:

إن القادة والعلماء هم بمثابة الشمع الذي يذوب ليُنير دروب الشعوب، فهم النخبة وزبدة المجتمع هم دائما في الصفوف الأولى لإستنهاض الشعب وقيادته نحو العزة والكرامة والدفاع عن كل ما يحاك ضد مقوماته الثقافية والحضارية أمام الحملات التدميرية للغزو الإستعماريي بالفكر العقلاني والإصلاح الحضاري وبالجهاد والمقاومة. فالشيخ العربي التبسي أحد رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية وأحد أعلامها البارزين حيث عاصر حقبة تاريخية مفصلية في تاريخ الجزائر المعاصر، تميزت هذه الحقبة بالجهل والحرمان والقهر الذي سلطه الاستعمار الفرنسي على شعب مسالم أعزل.

إن أهمية دراسة الفكر الإصلاحي للشيخ العربي التبسي وسماته الوطنية تعود إلى أنه من أبرز الذين ناضلوا ودافعوا عن عروبة الجزائر ودعوا إلى تحررها وتقدمها تحت مضله الحضارة العربية الإسلامية إلى جانب العلامة عبد الحميد بن باديس وغيره من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين يرجع لهم الفضل في بعث النهضة الثقافية العربية في الجزائر المعاصرة. كما أن جهود الشيخ العربي التبسي تتجلى في حفظ الكيان الوطني للجزائر، بعدما أراد المستدمر الفرنسي طمس هويته وبعده الحضاري وعزله عن حضنه الأصلي، العربي والإسلامي، بمساهمته في نشر مبادئ التربية والتعليم

والإصلاح الديني والاجتماعي. أدى نشاط هذا العلامة في تحطيم دعوات فرنسا الإستدمارية في التغريب وإنكار الشخصية الجزائرية وتحريف تاريخها.

اتجه الشيخ العربي التبسي في دعوته الإصلاحية إتجاها سلبيا، فقد أدرك مند البداية أن نهضة الجزائر تتم عن طريق بعث الأمة وإصلاحها قبل مواجهة المحتل الفرنسي، فكان يرى أنه لا يمكن في المرحلة الأولى من العمل الوطني، الإصطدام بالإستعمار حسب فهم لدى جموع الناس الذين مازالوا يعتقدون أن المجنون ولي الله وأن الأمي المشعوذ عالم، فالوعي يُفترض أن يأخذ العمل الوطني سمة العمل التربوي الهادف إلى القضاء على الجهل والخرافات التي أُلصقت بالدين الإسلامي الحنيف، وزرع المفاهيم والمبادئ الصحيحة.

إن دراسة سمات الوعي الوطني والحركة الإصلاحية في فكر الشيخ العربي التبسي يمكن فصلها عن شخصية ونشأة هذا الشيخ المنسي التي سنتناولها مفصلة في عناوين تشمل منشأه وشخصيته العلمية، فكره الإصلاحي والتحرري وعلمه المستفيض من المنطق وعلم الكلام.

وقبل الغوص في البعد الفكري والحضاري للشيخ، سنتطرق إلى بعده التحرري الذي يسبق في أبعاده البعد الحضاري لكون أنه لا يمكن تحقيق حضارة بدون إرساء قواعد الأمن والآمان في وطن يعيش تحت ظل الإستعمار ولا يمكن التمكين لبناء إقتصاد في غياب الإستقرار. لذا ارتأينا تناول البعد التحرري للشيخ قبل البعد الحضاري وخوضه في علم الكلام. وحتى نتمكن من الخوض في حركة إصلاح الشيخ وعلم الكلام الذي كان يُجيده، لا بد من تناول الإصلاح كمصطلح وكذا علم الكلام الذي يعتبر المنطق الإستدلالي لتبيان الحجة الدامغة والأدلة العقلية على المشككين والرد على المبدعين المنحرفين في الإعتقاد.

فما مفهوم الإصلاح وعلم الكلام لدى الشيخ التبسي والبعد الحضاري الذي كان ينتهجه في تغيير الأوضاع المتعفنة السائدة في عصره وما هو فكره التحرري؟

للإجابة عن هذا التساؤل سوف نتناول في المضمون، كل محور على حذا. وبعد هذا وذاك، نتطرق إلى التعريف بظروف نشأة الشيخ وشخصيته العلمية.

1. نشأة العربي التبسي وشخصيته العلمية:

ولد الشيخ العربي التبسي بن قاسم بن مبارك بن فرحات الملقب بـــ "العربي التبسي" نسبة إلى مدينة تبسة شرق الجزائر على الحدود التونسية في بلدة أسطحية، والتي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 700 كلم. تُعرف قبيلته بآجروم النموشية، والنمامشة قبيلة آمازيغية كبيرة من مدينة خنشلة إلى شرق تبسة (أمال طيبي،2018، 56). حيث إختلف في تحديد تاريخ ميلاده فذكر(محمد على دبوز، 1981، 35):" أنه ولد في سنة 1895م، أما(احمد العيساوي، 1957، 35) " فذكر انه ولد سنة 1881م حسب شهادة الميلاد المستخرجة من بلدة تبسة." رغم أن عقد إزدياد الشيخ من بلدية العقلة، ينُص على أن ميلاده كان سنة 1888م، حسب ما ذكره مطروح العيد وهذا التاريخ نفسه ذكره شقيقه الأصغر الحفصي، الذي كان يقول أن والده لم يرد تسجيله في قوائم المواليد الرسمية الموجودة بالبلدية التي كانت تديرها إدارة فرنسية بدوار السطح كعادة سائر الجزائريين الناقمين على هيمنة الإدارة الإستعمارية خشية تجنيده الإجباري في الجيش الفرنسي (نفس المصدر،87).

2. حياته العلمية ونشاطه الفكري:

ولد العربي التبسي في بيت علم ودين، حيث تربى فيه على مبادئ الدين وتعلم اللغة العربية، قال عنه (محمد علي دبوز، 1981): "كانت أم العربي وأبوه شغوفين بالعلم والمعرفة فغرسا فيه حب العلم بوجدانهما، فنشأ محبا للعلم كأبويه (ابن منظور، 2004، 52).

لقنه والده المبادئ الأولى للعلوم قبل وفاته سنة 1903م ثم تتلمذ على يد الطيب الزاوي (بوجرادة محمد، 2009، 5). وفي سنة 1914م، أنتسب إلى جامع الزيتونة وفي رحاب الجامع الأعظم كما كان يطلق عليه تفتح عقله وذهنه على أفاق واسعة من الثقافة الإسلامية، ثم بعدها شدَّ الرحال إلى جامع الأزهر حيث تابع دراسته العليا في الشريعة وأصول الدين إلى أن أحرز على درجة عالمية، بعد سنوات من الجد والمثابرة والتحصيل فكانت الفترة الممتدة التي قضاها في الأزهر من أبرز الفترات المُشرقة في حياته وإحدى العوامل المؤثرة في تكوينه نظرا للنهضة العلمية والأدبية التي كانت تعيشها مصر آنذاك بسبب كثرة العلماء والمصلحين بها وكذا إنتشار الطباعة والصحافة والنشر. إلا أن كل ذلك لم يُنسي الشيخ التبسي أهله ووطنه. بل كان على إتصال دائم بوطنه، متتبعا لأحداثه، مدافعا عن قضاياه إلى أن أكمل الحصول على الزاد المعرفي الذي سافر من أجله، ليعود بعدها إلى بلده ليبدأ جهاده بالكلمة والقلم مدافعا شرسا عن القيم الوطنية والمبادئ الدينية والثقافية التي تميز الشعب الجزائري عن غيره، إلا أن أستشهد (بوجرادة، 2009، 5).

3.الفكر التحرري عند الشيخ التبسي:

الشيخ العربي التبسي كان رافضا للظلم والاستعباد وأنواع القهر الذي مارسته فرنسا في حق الشعب الجزائري، من خلال قوله:" قد وجدنا الحكومة الفرنسية بجنرالاتها متفقين على محاربة الدين وقهر الشعب، وإننا مستعدون للمشاركة في النهضات السياسية القادمة، وإننا على علم أن موقف فرنسا مع الإسلام في الجزائر موقف شاد والإسلام يدعو إلى بغض الإستعمار ورفض الظلم، وحمل بغضه في الصدور وفي الحياة وفي القبور(الشرفي، 1981، 51).

من هنا كان ينظر التبسي إلى التحرر على أنه وسيلة لتحقيق كرامة الإنسان والإنعتاق من العبودية وتحقيق الحرية التامة الغير منقوصة. كما إعتبر التحرر هو الدفاع عن مصالح الأمة الحيوية وإحياء مقوماتها في إطار القيم العربية والإسلامية

والتصدي للعدو الذي يستهدف كرامة الإنسان وإستعباده، فهو بذلك لا ينظر إلى فكرة التحرر من حيث مفهومه الضيق بل يأمل في تحقيق التحرر بمعناه الواسع الذي يتمثل في التخلص من جميع صور الاستعباد والذل وكسر قيود الجهل والتبعية للغرب الإستعماري. من هذا المنطلق ركز الشيخ العربي التبسي على أفضل الطرق وأنجعها في معالجة مخلفات الإستعمار، بأن يقوم المصلحون بتعليم وتربية الأبناء وتخليصهم من براتم الإستعمار، بتوعيتهم وتحسيسهم للمطالبة بحقوقهم المسلوبة وتوعية وتنشيط أذهانهم لإحياء شخصيتهم (دبوز، 1981، 48).

لقد أدرك العربي التبسي الذي كان يتمتع بفراسة بالغة، أن أول نوفمبر54 هو شرارة من شرر اللهب الحارق للإستعمار. فما كان منه إلا أن يتزعم جناحا في جمعية العلماء المسلمين لمساعدة الشيخ حماني والشهيد رضا حوحو يدعوهما إلى الإلتحاق بالثورة وبركب الجهاد والمقاومة ضد المستعمر الغاشم، والإمتثال لأوامر القيادة الثورية وإحترام كل ما جاء في نداء أول نوفمبر، مؤكدا على الدعم النفسي والروحي والثوري قائلا في حق مفجري الثورة المباركة:" إنهم رجال تحملوا وتحركوا ودبّت فيهم روح الحياة الحدة الجامعة التي تُحطم أمامها كل معترض مهما كان قويا، وتقدموا إلى الأمام ليخوضوا معركة الحياة والعزة وقد حملوا أرواحهم فوق أيديهم زحفا لا يتقهقرون أبدا إلى الخلف". وأضاف في البصائر:" القضية أيها السادة هي قضية انقلاب كامل لا قضية إصلاحات جزئية، هي قضية شعب يريد دولة وحكومة ديمقراطية صحيحة ودستورا يحقق سيادة الأمة كل الأمة لا يريد لقمة خبز تلقن أو حفنة من الرماد تذر العيون" (حشلاف، 1994، 91).

أما بالنسبة للكتابات الثورية عند الشيخ العربي التبسي التي هي نوع من الجهاد يتماشى مع ظروف العصر وتطوراته لنشر الوعي القومي. فالمتتبع لهذه الكتابات يجد روح الثورية متجدرة من خلال الدعوة إلى الجهاد وتحرير البلاد بتهيئة البيئة الخصبة

للعمل الثوري عن طريق نشر الأفكار الثورية في كتاباته التي عالج فيها عدة قضايا وتجارب لمعاناة يومية يعيشها الشعب الجزائري تحت وطأة الإستعمار وتطلعه لإسترجاع الكرامة والحرية المغتصبة التي لا سبيل لإنتزاعها إلا بالقوة السلاح والجهاد، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة. كما ترك لنا مجموعة من المقالات الثورية المتنوعة في أطروحاتها يجمعها قاسم مشترك واحد هو الدفاع عن الإسلام والدود عن حمى البلاد وصون كرامة العباد (سهلي، 2006، 77).

4.الإصلاح عن العربي التبسي:

بعد عودة الشيخ العربي التبسي من مصر سنة 1927 أخد على عاتقه مهام تربوية وتعليمية مختلفة، كما إنتهج دعوة إصلاحية خاصة في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. حيث سار الشيخ على خطا سابقيه من الشيوخ الإصلاحيين الذين داع صيتهم في العالم العربي والإسلامي أمثال الشيخ محمد عبدو في مصر والشيخ جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمان الكواكبي والشيخ عبد الحميد بن باديس ...

بدأ الشيخ حركته الإصلاحية معتمدا على تربية وتعليم الصغار كما إهتم بالوعظ والإرشاد للكبار في المسجد وظل معلما ومرشدا وواعظا في مدينة تبسة من 1927م-إلى 1930، ثم إنتقل إلى مدينة سيق بغرب البلاد وقد وصف (دبوز،1981)، استقبال أهل سيق للشيخ العربي التبسي بقوله:" وقد إستقبل أهل سيق الشيخ إستقبالا عظيما لأنهم وجدوا فيه بغيتهم لمدرستهم ولمدينتهم ولمجتمعهم، وقد بهرهم بشخصيته القوية الناضجة وذكائه الواقد وبفصاحته البالغة وشدة تأثيره في الناس وجديته في كل شيء" (دبوز، 1981، 27). وبعد عودته إلى تبسة بذل مجهودات تربوية وتعليمية ودعوية، حيث بعد عودته مباشرة شرع في تأسيس الجمعية الخيرية لأهل مدينته، ومدرسة لتهذيب البنين والبنات سنة 1934 م التي تخرج منها رجال الإصلاح والسياسة والثورة بتبسة (المصدر السابق، 31-33). فظل الشيخ العربي طيلة تلك الفترة يلقي

دروسه للعامة بعد صلاة العشاء في كل يوم إلى أن ترك التدريس والمدرسة سنة 1947م. عند وفاة الشيخ بن باديس سنة 1940 م تم تعين الشيخ البشير الإبراهيمي على رأس جمعية العلماء المسلمين، فأصبح التبسي نائبا لرئيسها سنة 1953 أصبح تقريبا قائدا ورئيسا للحركة الإصلاحية الجزائرية خلال الغياب المتكرر والمتواصل للشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان يقيم مؤقتا بالمشرق (مراد، 2007، 134).

فمن هذا المنطلق لو سألنا عن معنى الإصلاح لوجدنا أن المصطلح هو نقيض للإفساد، والصلاح ضد الفساد (طيبي، 2018، 56). وحسب ما نفهمه من كتابات الرجل ومواقفه بما يعني التغير الجدري لكل اتجاهات الفرد السلبية وتعديلها بإتجاهات إيجابية تتفق مع المنظور الإسلامي، ففساد الأمة وتخلفها على تنوع أسبابه وإختلافها يُرجعه الشيخ التبسي إلى التخلي عن الدين الإسلامي. لذا فإن الإصلاح مرتبط من خلال تجاوز هذا الفساد، وهو الرجوع إلى جادة الطريق والتمسك بتعاليم هذا الدين.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ فيما يوضح هذه النظرة مبينا مفهومه للإصلاح:" إن للأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية أسباب التأخر فيها لا ترجع إلى عهد قريب، ولا إلى سبب مباشر بل هي راجعة إلى مخالفة تعاليم رب العزة والتشريع السماوي الذي ارتضاه الله على كل الناس" (الرفاعي، 1984، 219). وإذا كان العربي التبسي قد حدد موطن الفساد فهو في الوقت ذاته لا يغفل عن الكيفية التي تتجاوز بها الأمة هذا الخلل إلا عن طريق دعوة أفرادها إلى الإنتظام تحت مبدأ واحد. فالفرد هو أساس الإصلاح بإعتباره لبنة أساسية في البناء الاجتماعي والحضاري، كما أنه المحور الجوهري في عملية النهضة، فصلاح الفرد هو المنطلق لصلاح الجماعة التي لا يرتضيها الدين الإسلامي إلا إذا اجتمعت على كجسد واحد كالبنيان المرصوص، لذا بات من الضروري صلاح الفرد حتى تصلح الجماعة وهذا مصداقا للآية الكريمة:﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(سورة الرعد:الآية، 11). وصلاح الفرد مرتبط بتنمية قدراته العقلية والإدراكية وفق تنشئة إجتماعية سليمة.

إن الدعوة الإصلاحية في نظر الشيخ العربي التبسي تتجلى في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بما يرتضيه الكتاب السماوي وسنة النبي الكريم والسير على منهاج السلف الصالح في أخلاقهم، سلوكياتهم، عباداتهم القولية، والعملية(حشلاف، 1994، 87).

فمن خلال هذا المنطلق فإن نهج الشيخ التبسي الإصلاحي تميز بما يلي:

1.4 دعوة للشعب الجزائري للحفاظ على مقوماته الثقافية:

إنطلق الشيخ من معرفة دقيقة وصحيحة للواقع الجزائري، ومن معرفته لمدى إحترامه لأطره المرجعية ومحدداته المقدسة على ضوء هذا التخصص الصحيح، حث أبناء وطنه المتواني عن أحياء قيمه ومميزاته، ومما جاء في نصه:" وإثر هذه البسطة التي لا يراد منها إلا تفهيم الشعب فيما يخص الواجب عليه نحو دينه ولغته والأجيال العاقبة بعدنا أو الوارثة عنا ما نتركه لهم من معنويات واجتماعيات ودينيات وماديات...ندعو الشعب الجزائري بجميع طبقاته التي تعمل لأن تبقى هذه الأمة لها خواص الأمم وميزاتها ومنشأها إلى التشارك والتعاون في تسير العهد والتدرج به إلى اللحاق بالمعاهد الإسلامية شرقا وغربا، وإلى تخليصه وإنقاذه من وضعيته الشاذة الموجود عليها اليوم، وليس هذا بأمر صعب على أمة كالأمة الجزائرية إذا أخلصت نيات القادة الدينين والدنيويين. وإذا قام الدعاة إلى العلم بما يجب عليهم من تصفية جهودهم من الأغراض الهدامة. وإنه لمن أكبر الكبائر مع الله ومع دينه ومع لغة كتابه أن يظل الشعب في ميراثه القديم القريب الضار المشوه بالخلافات التي أعانت الزمان على الأمة الجزائرية، فأصبحت لا شرقية ولا غربية، لا عربية ولا أعجمية. فهب أيها الشعب لإعانة معهدك ونشر ثقافتك والسير مع أهل زمانك، ولن يضيع شعب حافظ على لغته وقوميته" (التبسي، 1949، 2).

وقد صمم الشيخ في نصه على أهمية الحفاظ على المقومات الحضارية المميزة للأمة الجزائرية، مؤكدا الحقائق السنية المخبوءة في طباع الأمم ومقوماتها، منها الشعب الجزائري بجميع فئاته لوعيه في دوره الحضاري المنوط به في هذه العملية الإحيائية الرائدة. محذرا في الوقت نفسه من تقاعس فئات الأمة عن أداء دورهم التوعوي، دينيا واجتماعيا وتربويا، مؤكدا على أهمية بذل الجهد لبلوغ المستوى الحضاري الذي يضمن للأمة وجودها حاضرا ومستقبلا.

2.4 تشجيعه على التأليف العلمي:

ركّز الشيخ التبسي في النهضة التعليمية التي شهدتها الجزائر بقيادة جمعية العلماء بتشجيع على التأليف العلمي كخطوة صحيحة على درب تأصيل النهضة الإصلاحية عموما والتعليمية خصوصا، وقد أُسندت إليه تقيم رسالة الشيخ مبارك الميلي التي كتبها في العقائد، ومما جاء فيها قوله:" وإذ بلغت هذه الدعوة الصالحة وإنتشرت وقبلها المسلمون وعدوها نعمة من الله عليهم، كان تأليف رسالة جامعة لأهم النقاط التي تدخل منها ظلام البدع على نور السنن من اوجب الواجبات على حملة السنن، وعلى أعضاء جمعية العلماء، إذ دعوا للإصلاح اليوم، فهم بحاجة ماسة إلى رسالة في هذا الموضوع جامعة لأدلة هذه المسائل، ناقلة لآيات أو الأحاديث في كل نقطة من نقط التي تناولتها الرسالة المقترحة المرغوب في تأليفها لتكون حجة للمستيقنين، وهداية للمسترشدين، وسيفا مسلطا على أعداء السنن المعروفين في الجزائر من المتعيشين بهذه البدع والعوائد الضالة (الميلي، 1937).

في هذه الفقرة أثنى الشيخ على الثغرة العلمية التي تصدى للتأليف فيها الشيخ مبارك الميلي، بهدف إيجاد إجابات صحيحة ومؤصلة في مجال العقائد، وضع حد لكل ما من شأنه أن يعكر صفو وسلامة هذه العقيدة ويحميها من تدنيس المارقين والمرتزقين وهي

الثقافة إصلاحية لحماية المجتمع الجزائري من أشكال العبث بعاداته ودينه ومقومات حضارته المتأصلة وثقافته المتجدرة.

5.علم الكلام في فكر العربي التبسي:

لقد إنتهج الشيخ التبسي علم الكلام بعدما خالط رواد الفكر في مصر حيث شاهد الشيخ كل مظاهر التحضر العربي الناهض، كما شاهد آثار الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده وإتصل بالشيخ السيد رشيد رضا صاحب المنار الذي ظل يرسل إليه المنار بعد عودته إلى الجزائر إلى حين توقفها. وفي الأزهر درس كل العلوم الشرعية على يد أكابر الشيوخ كما درس على يد الشيخ يوسف الرجوي والشيخ عبد الوهاب النجار ومصطفى المراغي ومحمد شاكر عبد الرحمان وحسنين مخلوف وغيرهم...

وعلى يد هؤلاء الشيوخ وغيرهم من علماء مصر والأزهر والعالم الإسلامي درس الشيخ العربي التبسي أدق وأعلى كتب اللغة العربية ومتونها والبلاغة وشروحها والفقه وأمهاته وعلم التفسير ومداركه والحديث وجرحه وتعديله ورجاله وسنده ومتونه كما تفرغ في دراسة المنطق وعلم الكلام والتاريخ كما أكد ذلك (عيساوي، 2015، 13) في مقاله المعنون البعد العالمي لشخصية العربي التبسي.

قليل هم العلماء والمختصين في الدين من أنتج علم الكلام الذي يُعتبر علم يتضمن مستوى راقي من الفلسفة والحجة والبرهان التحليلي في الرد على المخالفين في العقائد بالأدلة العقلية والتحليل المستفيض والمنطق (محمد علي، 1976، 131).

فقد عرف إبن خلدون علم الكلام بأنه:" علم يتضمن سبيل الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعين المنحرفين في الإعتقاد عن مذاهب أهل السلف وعقائد أهل السنة (أبو ريان، 1976، 132).

فيما عرَّفه احمد أمين(1933، 10)، تعريفا مشابها للأقدمين بقوله: "سمي هذا العلم الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية، والرد على المخالفين بعلم الكلام، وسمي المشتغلون

به بالمتكلمين، وقد إختلفوا في سبب هذه التسمية، فقال بعضهم: " إنه سمي علم الكلام، لأن أهم مسألة فيه واهم قاعدة فيه كلام صرف في المناظرات على العقائد وليس يرجع إلى عمل. أو لأنهم تكلموا بحيث كان السلف يسكت عن ما تكلموا فيه، أو لأنه في طرق إستدلاله على أصول الدين أشبه بالمنطق في تبنيه لمسالك الحجة في الفلسفة. فسمي علم الكلام مقابلة لعلم المنطق" (احمد أمين، 1933، 9).

ويرى (أحمد أمين، 133) أيضا أن منهج المتكلمين يختلف في الإستدلال على العقائد وأصول الدين عن منهج القرآن، الذي يعتمد أساسا على مخاطبة العواطف، آو الفطرة الإيمانية التي فطر الناس عليها". فالقرآن الكريم لا يؤلف برهانه تأليفا منطقيا من مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة. ولا يتعرض لألفاظ الفلسفة من جوهر وعرض ونحوها. ولا يحددهما ولا يثير المشاكل العقلية ويفصلها ويبني عليها، لأن الدين لم يأت للفلاسفة وحدهم دون غيرهم ولا للعلماء تحديدا. فالفلسفة والعلم حظً أقل من الناس (نفس المصدر، 10).

أما طريقة المتكلمين، فهي الإستدلال على الإيمان بالأدلة العقلية والمنطقية، فالتعامل مع القرآن ضمن دائرة العقل والنظر. وعلى ضوء هذا التعريف يمكننا أن نحدد ماهية علم الكلام، ومن هو المتكلم ؟

يشير مقداد عرفة (1995، 9): "أن علم الكلام يتناول الموضوعات الخلافية في الدين ومسائل الكونية والإنسانية، تناولا فلسفيا يبين فيه طبيعة الأسئلة الفلسفية التي كانت تقوم على النظريات المختلفة وطابعها النسقي. هذه النسقية يمكن أن نلمسها على مستويين:
- (مستوى عام يمثل مبادئ المذهب والتي يكون على أساسها الانتماء إليه، مثل منظومة الأصول الخمسة بالنسبة إلى الاعتزال وبخصوص تعديل الصفات الإلهية أو نفي خلق الإنسان لأفعاله ونفي التحسين والتقبيح العقليين وإبطال شيئية المعلوم). ومستوى إنساق جزئية يكاد كل شيخ من شيوخ الكلام يستقل بواحد منها، وترابط فيها جوانب نسقه

المعرفية والإلهية والطبيعية، وحتى في هذا المجال يبقى فضل العلماء أمثال: (خالد العلي، جهم بن صفوان، عبد الله نعمة، هشام بن الحكم والفارابي وعبد الجبار المعتزلي...)، إن الإسترسال الجدلي، القول وتحليله إلى قضايا التي يتألف منها لإثباتها والإعتراض على الواقع أو المقدر والرد عليه)، يدخل في إطار صناعة النسق الكلامي لدى المتكلم وحتى ولو كان ينتمي إلى مدرسة تقليدية أو سلفية مثل ما هو شأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تبنت في طرحها الفكر السلفي. والقصور يحدث لدى المتكلم عندما يتقيد بنهج واحد أو فكر أحادي. إن الإنتماء المدرسي والتنظيمي ليس معناه ذوبان العضو في التيار. ويكفي ذلك أن نشير إلى تطور موقف الأشاعرة من نظرية الأحوال البهشمية التي نشأت من تطورات موقف الخصم، أي المعتزلة وفي بنيته التي رفضها الأشعري بموجب تصوره الميتافيزيقي (نفي شيئية المعدوم ووحدة الموجود الإنطولوجية)".

هذا ما دفع الشيخ العربي التبسي في انتهاجه إستقلالية الفكر والرأي وتبنيه علم الكلام لإبطال حجج خصومه عكس نهج السلفية والوهابية التي كانت متسيدة في المشهد الديني في تلك الحقبة الزمنية والتي كانت جمعية علماء المسلمين تنتهجه وتتبناه.

فعلم الكلام هو العلم الذي تُستدل به على العقائد، وأصول الدين بأدلة الحجاج العقلي الفلسفي، والمتكلم هو الذي يضطلع بمهمة البحث في مسائل العقائد وأصول الدين مستخدما العقل والمنطق الفلسفي. ولنا أن نتساءل بحكم المساءلة العلمية، هل يعد الشيخ متكلما؟ وهل يمكن وصفه في زمرة المتكلمين؟ وهل ما كتبه من أبحاث وقضايا كلامية مختلفة يمكن إدراجه ضمن علم الكلام؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، لا بد من تتبع نماذج من آثار الشيخ العربي التبسي بالعرض والتحليل والمناقشة.

1.5. كتابات الشيخ بمنظار علم الكلام:

تزخر كتابات الشيخ العربي التبسي ولاسيما التي ناظر بها أصحاب الطرق في الجزائر، بما لا يدع مجال للشك انه كان محاورا بارعا ومتكلما مقنعا مستخدما أسلوب المتكلمين الذي يتميز بالمنطق والمجادلة والحجج الدامغة.

لقد بالغ الشيخ العربي التبسي في إستخدام معارفه الكلامية والعقلية المنطقية في رد على خصومه الطرقيين الذين فقدوا الحجة وأعوزتهم الوسيلة العقلية في الرد عليه والإنتصار لمذاهبهم. وقد تأرجح أسلوبه في الرد عليهم بين تمحيصه وتحقيقه للنصوص المقدسة وتحرير لمحل النزاع فيها بأسلوب الحجاج والجدال العقلي رغم.

ومن خلال ما ذكر يتبلور لنا أن للشيخ العربي التبسي شخصية علمية من خلال النصوص المبتسرة فقد إكتسب مهارة في التحاور وطرح حججه ومناظراته وكتاباته بطريقة المناطقة والمتكلمين، ذلك لاحتكاكه مع علماء العالم الإسلامي وشيوخ الأزهر خاصة في الحقبة التي قضاها في مصر.

ومن ذلك ما ذهب إليه في معرض تنبيهه إلى مقومات النهوض بالمجتمع ووسائل وغايات إعداده: "معلوم لنا في أول ما ذكر الله في عقولنا، أن جلت قدرته ربط حلقات هذا العالم ربطا محكما، وجعل لكل شيء علة تتقدمه وترتبط به إرتباطا وثيقا، وجعل المسببات تنشأ عن أسبابها عند ملابسة المكلف للأسباب وتنعدم عند إنعدام أسبابها. وذلك خلق الله عند حضور الأسباب الموضوعية للسببية، وسننه التي عرفها عباده، وعلمهم بسببها وكيفية التسبب، وأراهم إنهم على قدر إحسانهم للتسبب، وعلمهم بالأسباب، وبراعتهم في التذرع وإلتماس الذرائع المنهية إلى المسببات، يكون فوزهم بالمقاصد، سواء أكان في السبب الديني في الشرائع أو السبب الدنيوي في الحياة ومرافقها. وإذا فهمنا ربنا هذه الأسباب التي تعد سننه في خلقه ورحمته التي قام عليها عمران هذا العالم الأرضي وبات عملنا بهذا التنظيم الإلهي علما وعملا ضروريا عاما في كل عصر ومصر وأمة،

ولا يشذ عنها أحد إلا في أحوال استثنائية ولا يختلف فيها سبب عن سبب عرفته سببيته، ولا يخرج عن مسبب من المسببات. فقد وجب على القائمين بالإصلاح في هذه الأمة الجزائرية، أن يدخلوا هذه السنة عملا لا إعتقاد فقط. وأن يتخذوا من الذرائع والأسباب ما تحققت لخدمة الأمة من جهتها، وان يلتمسوا من الأسباب ما تحققت سببيته، سواء في ذلك ما عرف قبل وما وجد في هذه الآونة" (التبسي، 1932، 168).

والمحلل لهذا النص يكتشف المستوى ألعرفاني للشيخ العربي التبسي والأسلوب الراقي الذي إستخدمه بما يضاهي فيه جمهور المتكلمين أمثال(إبن العربي والحلاج والفارابي...).

كما يلاحظ أيضا توظيفه لبعض المصطلحات الفلسفية العميقة في معناها والمنطقية في مضمونها، التي تعتمد على العرض والبسط، التحليل والبرهنة، الإستنتاج والإقناع. كما إتبع منهاج أرسطو في الكشف عن العلاقة الكامنة بين العلة والمعلول والسبب والمسبب، وهي تدخل ضمن المقولات العقلية العشر لأرسطو.

وفي الواقع أن الشيخ العربي التبسي في هذا المقال لم يبدو كعالم دين أو فقيه بقدر ما بدا عالما متكلما وفيلسوفا محدثا بالشكل والمضمون والمنهج. ولا غرابة في ذلك، إذ إنتهل علم الكلام والمنطق من مصادره الأصيلة. كما بدا الشيخ التبسي في غير المقال السابق الذكر متكلما ومنطقيا في العرض والتحليل وهو يرد على احد منتقديه الذي خالفه الرأي (الناصر معروف)في كتاب جريدة البلاغ الجزائري حينما خاطبه قائلا: " وفي أقلام أصحاب جريدة البلاغ عبرة عظيمة، تلك العبرة هي أن قوانين العلم من عهد (أرسطو، طاليس وأفلاطون..)، تبن أن الدعوة المتنازع فيها لا تثبت إلا بأمرين هما:

- إبطال دليل الخصم. 2- وسلامة دليل المُبطل من القوم.

هكذا قال العلم قبل ظهور (الناصر معروف) وأمثاله. أما الآن فقد تجددت مناهج العلم كما تجددت أساليب التصوف وصار منتقدي، لا يُبطل أدلة خصومه، ولا يُقيم دليلا على

دعواه ومع هذه المهزلة يزعم أنه يرد علي، ولذلك أيها القارئ العالم بدلالة الألفاظ فهمت سر قولي آنفا أن (الناصر معروف)، يريد مريدين أميين" (التبسي، 1932، 15).

والمتمعن لهذا النص، يستنتج أن الشيخ عارف برواد الأوائل للفلسفة القديمة، أمثال أفلاطون وسقراط الفيلسوفين اليونانيين الشهيرين، مؤلفي علم المنطق والمتبحرين في قوانين الطبيعة واللاهوت. كما أشار الشيخ المتكلم إلى قوانين العلم ونظرية المعرفة. تناول منهجية العرض بالأطروحة والبيان وإبطالها بنقيضها.

والمتتبع لنماذج أخرى من كتابات الشيخ التبسي، التي تبدو فيها شخصيه العلمية، كمتكلم ومنطقي في المناظرة وإبطال أدلة الخصم بالحجة والبرهان، يتبن بوضوح، مدى تمكن الشيخ وتبحره في علم الكلام ومسائله وعلم المنطق وقضاياه.

وفي رده على (إبن عليوة)، مبطلا مزاعمه في التصوف وفهمه لتصوف السلف ودعواه التصوفية، حيث يقول:" زعم الشيخ (إبن عليوة) أن النسب والإضافات لا تحصل إلا بأن ينزل المنسوب من المنسوب إليه في كل شمائله وصفاته وخواصه الكسبية والنفسية، فإن جاءت الإضافة على بعض الخصائص أو العقائد، أو الآراء كانت باطلة، تستحق التنكير والتشنيع، لأنها تقبح باب إسقاط هيبة وعظمة المنسوب إليه ويعُرضه لسوء القالة" (التبسي، 1928، 10).

وقد بدا الشيخ العربي التبسي وهو يناظر إبن عليوة الذي كان هو أيضا يتميز بطرح راقي وأسلوب يعتمد على الجدل والمنطق وإن إختلف مع التبسي وجمعية العلماء المسلمين في آرائهم وتوجهاتهم. فظهر الشيخ وهو يحاوره في هذا الباب من مظهر المتكلمين مستخدما، الحجة ونقيضها ثم الإستنتاج، في أسلوبه الحجاج العقلي. كما إنتهج أسلوب المناطقة الذي يستخدم فيه رواد هذا الإتجاه المنطق الأرسطي في العرض والتحليل والإستنتاج المتمثل في:

- العرض (الحجة) ⟵ Thèse

- التحليل(نقيض الحجة) ⟵ Anti- Thèse
- الإستنتاج (الخلاصة) ⟵ Synthèse

ولقد ناظر الشيخ خصومه بمظهر المتكلمين في إستعماله لأسلوب الحجاج العقلي، كما بدا أيضا بمظهر المناطقة مع الذين يستخدمون المنطق الأرسطي في العرض والتحليل والإستنتاج. فمن خلال الإستقراء تتبع الجزئيات وتقدم المقدمات الصغرى والكبرى، توصل الشيخ التبسي إلى نتيجة التي أقحم وألجم بها منتقديه وخصومه في الفكر والأطروحات.

ومن هذا المنطلق نستطيع القول أن هناك عدة دراسات توضح إنتهاج الشيخ التبسي لنهج المتكلمين ومن بينها دراسة الباحث (عيساوي،2017) في فحوى بحثه الموسوم بـــ" الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة البعد الحضاري" والتي تماش مع هذا الطرح وخلص إلي تبني الشيخ علم الكلام في مجادلة خصومه، كما إختلفت توجهات هذا البحث مع ما توصلت إليه دراسة الأستاذ (بولحية، 2016) المعنونة بـــ " الإتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية" والذي توصل فيها معارضة جمعية العلماء المسلمين للعرفان والفلسفة ، بالإضافة إلى إتهام وقوع أهل الطرق الصوفية في الكفر والشرك التي تُعتبر من أخطر التهم التي لم تصبها جمعية العلماء على مشايخ الطرق الصوفية فقط، وإنما صبتها على العوام أيضا، وهي نتيجة حتمية للتأثر المبالغ فيه من طرف علماء الجمعية بالتيار الوهابي الجارف، والذي لم يستنكف عن تكفير العوام بحجة – زيارتهم الأضرحة أو تعلقهم بالصالحين– بل لكونهم قد وقعوا في الشرك الجلي (بولحية، 2016، 374). وهذا ما يتعارض مع توجهات الفكر العرفاني.

6. البعد الحضاري عند العربي التبسي:

يعتبر الشيخ العربي التبسي واحد من العلماء الجزائريين وأكثرهم تحمسا للقضية الوطنية والذي قام بدور كبير يضاهي الدور الذي أداه الشيخ بن باديس في حركة النهضة الجزائرية الحديثة، فهو قطب من أقطاب الفكر الإصلاحي المعاصر، البارزين الذين ذاع صيتهم داخل الوطن وخارجه. لقد حافظ الشيخ العربي التبسي على الشخصية الوطنية في بعديها الحضاري والثقافي من ممارسات التذويب الهوية الوطنية والدينية كما، وقف كسد منيع ضد حملات التنصير للمجتمع الجزائري وتغريبه وسلبه من تاريخه وتشويه حاضره مرتكزا على مقومات حضارة الأمم وشروط نهضتها. ولا يمكن أن تنهض الجزائر إلا إذا رسخت بعدها الحضاري كما نص عليها رائد الفكر العربي والإسلامي المفكر الجزائري "مالك بن نبي" في كتابه مشكلات الحضارة وشروط النهضة في المعادلة التالية:

إنسان + تراب + زمن الأثر الديني = ناتج حضاري

(مالك بن نبي، 1957، 49).

حيث يؤكد مالك بن نبي، أن فكرة الحضارة المنتجة المستقلة عن منتجات الحضارات الأخرى، يجب على العالم الإسلامي أن يركب حضارته في زمانه مرتبطا بدينه وثقافته.

ومن هذا المنطلق إستعان الشيخ العربي التبسي بأعمال المفكرين والفلاسفة والمؤرخين الذي حاولوا بدورهم، الكشف عن العوامل التي تسهم في قيام الحضارة وتقدم الشعوب بدون أن يغفل عن ما قدمه مالك بن نبي حول نتاج الحضارة الذي أسسه مفكرنا في بناء الحضارات ومنها الحضارة الجزائرية. وهكذا لعب العربي التبسي دورا رائدا في التمسك بمقاليد النهضة الإسلامية التي حاربت كابوس الأوثان فكرة إصلاحية رائدة.

إن العربي التبسي يؤكد على دور العلم في بناء الأمم وإزدهارها، فكان يقول: " فقد آمن الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها بأن الجهل هو السبب الأساس في خراب الأمم، وسقوط الشعوب، وتدهور الجماعات البشرية حيث لا سبيل للإنقاذ سوى التزود

بالعلم والمعرفة بإعتبارهما الوسيلتان الوحيدتين في سبيل النجاة والطريق السوي الذي يفتح أبواب السعادة والحياة" (الرفاعي، 1984، 218). كما كان يقيس وطنية المواطن بمدى تمسكه بالدين الإسلامي وقيمه الحضارية ومدى إخلاصه وتفانيه في الدفاع عن دينه، وهو القائل:" نحن بما أننا أمة إسلامية والإسلام دين غذاه العلم يجب علينا أن نكون أخضع الناس لما جرت به سنة الله في خلقه ولما علمناه من قدره في هذا الكون، وأن يكون أيضا من أشد الناس عملا بما فهمناه من سنن الله" (نفس المرجع، 218).

ومن خلال ما قامت به الجمعية من إنشاء المدارس العربية الحرة والنوادي الثقافية وعقد الندوات، إستطاعت أن تحفظ للجزائر إسلامها وشخصيتها الوطنية من الانسلاخ والدوبان في حضن الحضارة الغربية المزيفة (نفس المرجع، 219).

7. إستشهاده:

في مساء يوم الخميس، وليلة الجمعة 4 أفريل 1957 إقتحم الجنود الفرنسيون بيته وإنتزعوه من فراش مرضه إنتزاعا. وعُومل بغلظة وفظاعة فتعرض لإهانة كبيرة أمام أعين إبنه الكبير، فقد بعثروا كتبه، وداسوا بأقدامهم القدرة مصاحفه، وحجزوا محفظته بما إحتوته من مستندات وأموال قد تكون له أو للجمعية، ثم أخرجوه حافي القدمين، حاسر الرأس لا يكاد يستر جسده شيء إقتادوه إلى مصير مجهول. وقد حاولت السلطات الفرنسية التنصل من هذه الجريمة الشنعاء، فزعمت أن الذين إختطفوه هم إرهابيون أي "رجال جيش التحرير" كما تُسميهم، إلا أن جمعية العلماء كذبت هذا التضليل والتزييف للحقائق، وأعلنت للرأي العام العالمي أن فرنسا هي التي قامت بهذا الفعل الشنيع (مرحوم، 1979، 85).

وظل مصيره مجهولا وقبره غير معروف إلى أن إتضح مؤخرا من بعض الشهادات التي قد تكون صحيحة مفادها أنه مدفون في"عين الذهب" ولاية تيارت (مرحوم، 1979، 102). أما عن حقيقة إختطاف الشيخ العربي التبسي فقد أورد البعض أنه أُلقي من على

الطائرة في البحر (دبوز، 1981، 71). والحقيقة التي توصل إليها المؤرخ احمد عيساوي نقلا عن احد مجاهدي وقيادي المنطقة الخامسة والسادسة، الذي روي له قصة إختطاف الشيخ نقلا عن صديقه إبراهيم الجوادي البوسعادي الذي تعرف عليه بعد الإستقلال في الأكاديمية العسكرية بشرشال، حيث كان لصديقه إبراهيم صديق أيام الثورة التحررية ومن قبلها كان صديقه في الجيش الإستعمار الفرنسي في فرقة القبعات الحمراء وعن خلفيات إلتحاقهما بالثورة التحريرية يقول السيد أحمد إبراهيم: " لقد كنت أنا وصديقي القبائلي ليلا في حي بلكور بقيادة السفاح "ريمون لاغايارد"Larayard Raymoune"وكنت أنا وصديقي في تعداد فرقة الجيش الذين راقبوا العملية، وإستمروا يشاهدون ما حدث للشيخ العربي التبسي، حيث بقي نزيلا في سجن القبعات الحمر بالعاصمة طيلة أربعة أيام من غير طعام ولا شراب ولا لباس وقد تكفل بتعذيبه جنود السنيغاليين، والشيخ بين أيديهم صابر لا يتكلم، حتى نفد صبر ريمون منه، وبعد عدة أيام من التعذيب جاء يوم الشهادة حيث أعدت للشيخ التبسي طنجرة كبيرة مليئة بزيت السيارات والشاحنات العسكرية وأوقدت النيران من تحتها حتى درجة الغليان. ثم طلب ريمون من الجنود السنيغاليين حمل الشيخ وهو عاري الجسد وأوثقوا يداه ورجلاه ثم رفعوه فوق الطنجرة وطلبوا منه الاعتراف وقبول التفاوض وتهدئة الثوار والشعب لكن الشيخ ظل يردد بهدوء الشهادة فخابت مساعيهم في انتزاع منه الاعتراف، ثم وضع وهو معلق من رجليه داخل الطنجرة فأُغمي عليه فأُنزل شيئا فشيئا إلى أن أُدخل بكامل جسده الطاهر، فأحترق وتبخر إلى أن تلاشى رحمه الله، وذلك اليوم كان على وجه التحديد بين 11-12 أفريل 1957 وهو اليوم الذي قرر فيه الإلتحاق بصفوف الثورة الجزائرية (عبد الكريم، 1996، 89).

وينطبق إستشهاده بقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ .(سورة الأحزاب: الآية، 23).

8. الخاتمة:

إن الكثير من الباحثين والدارسين من يعتقد أن تاريخ الجزائر المعاصر عموما، يحمل في طياته تقسيمات لحركات وطنية ضمن تيارات استقلالية منقسمة وفق لظاهر أدبياتها وأفكارها وبرامجها. فتتصف بعض الحركات على أنها وطنية والأخرى إدماجية والأخرى إصلاحية وهذه التصنيفات والتقسيمات وإن كانت تحمل بعض الحقيقة، فإنها في الوقت نفسه تحتاج إلى مراجعة دقيقة والتي تحمل الكثير من الإجحاف في حق بعض التيارات الوطنية وكذا في حق الكثير من الشخصيات أو الجمعيات التي كانت لها الفضل في النهضة الفكرية والثقافية والحضارية والثورية داخل المجتمع الجزائري بدعوتها إلى التحرر من الإستعمار الفرنسي والثورة عليه، وفق تصوراتها وقناعاتها ومنهاجها وبشتى الطرق وبأنواع مختلفة من الأساليب. لأن التحرر من الإستعمار لا يمكنه أن يتحقق بدون وعي وغرس الحس الثوري والجهادي في عقول الشعب وفي قلوبهم. والفعل التحرري في بعده الفلسفي وعمقه الفكري يحتاج إلى عمل قاعدي كثيف في بيئة إجتماعية تعرضت بفعل السياسة الإستعمارية، إلى التجهيل والتهميش والإقصاء، إضافة إلى التنفير والتهجير والنصب عليه للإستلاء على مقدراته ونهب ثرواته. فهو يحتاج إلى جهد مضني يصل إلى إدراك معنى التحرر والمقاومة والعمل على بمقتضى ما تُمليه عليه النتيجة الحتمية المتمثلة في إسترجاع السيادة الوطنية في ظل مجتمع يحافظ على مقوماته العربية والإسلامية في قالبها الثقافي والحضاري.

ومما لا شك فيه فإن طريقة الشيخ العربي التبسي في تبني الفعل المقاوم في بعده الفكري والإصلاحي والنهضوي كان يسير في هذا الإتجاه المتمثل في مقاومة الإستعمار الفرنسي بكل الطرق وبشتى الوسائل، تارة بالعلم والفكر والمنطق وتارة أخرى برفض الظلم والدعوة إلى الجهاد والمقاومة.

لقد ساهم الشيخ العربي التبسي في نشر الوعي وبسط الإصلاح في مجتمع كان يسوده الجهل والانحراف العقدي والظلم الذي كان يمارسه الإستعمار الفرنسي في زرع الأفكار التي توهم الشعب الجزائري بأن الإستعمار هو قدره ولا يمكن للفرد الهروب من قدره المحتوم، وهذه هي أكبر أكذوبة كان تمارسها سياسة البطش والتجهيل سواء أكان عن طريق التضليل الفكري في الخارج أو بعض موظفيه المتمثلين في خطبائه في الداخل. وبما أن الفكرة لا تدحضها إلا الفكرة، حاول الشيخ التبسي قدر الإمكان من التصدي لهذه المغالطات بالمنطق والحجة والجدل وتوظيفه لعلم الكلام في مجادلة خصومه فكان ثارة يجابه أصحاب البدع والخرافات بأسلوب سلس يتناسب مع مستواهم الفكري وثارة أخرى كان يرفع من المستوى المجادلة بإستخدامه الجدل الفلسفي والمنطق مع من كانوا يخالفونه من حيث الأفكار والإيديولوجية .

وفي ختام بحثنا أردنا أن نسلط الضوء على جانب مشع من شخصية جزائرية كان لها الفضل في التصدي لمحاولات التغريب والوقوف أمام حملات أعداء الإصلاح من الطرقيين أتباع الإدارة الفرنسية من الأئمة الرسمين لتخدير عقول البسطاء ولتخريب أفكارهم، ليتمكنوا من زرع الوهن واليأس في أدهان الجزائريين ونشر الخوف في قلوبهم. وهذا من هذا المنطلق كان لزاما على الشيخ العربي التبسي أن يرتقي بفكره إلى مستوى علم الكلام الذي كان يجيده رغم فكره السلفي وإتجاه مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لكن هذا لا يعني ذوبان الشيخ في فكر أحادي داخل التنظيم بل كان يتمتع بفكر وإستقلال شخصيته، وهذا دليل على أن الشيخ يتمتع بفكر مستنير مستقل رغم إنتمائه لعضوية جمعية علماء المسلمين التي كانت تتميز بفسيفساء فكري بين أعضائها.

وتناول مثل هكذا مواضيع يسمح للجيل الجديد أن يطلع على الدور الرائد الذي لعبه زعماء الإصلاح في الجزائر ومن بينهم الشيخ العربي التبسي في ظل وجود إستعمار غاشم أراد بكل ما أوتي من قوة أن يطمس هوية وشخصية الشعب الجزائري.

ومن هذا المنطلق، نقترح دراسات أخرى من حيث ما إنتهت إليه الدراسة الحالية بدراسات أخرى مستفيضة تدرس بعمق وتمحص لشخصيات وطنية داع صيتها في المشرق والمغرب من حيث ما قدمت من فكر مستنير وإنتاج غزير في مجال الأدب والمنطق والإصلاح بعقلية عرفانية وروحية مرموقة كما هو شأن الشيخ العربي التبسي وآخرون لا يقلون شأنا عن بقية المفكرين والمصلحين في العالمين العربي والإسلامي.

كما نثمن هذه المبادرة الحسنة التي قام بها القائمون على مجلة روافد من اجل ترسيخ الحس المدني وروح المواطنة وعدم نكران المجهودات والآثار التي خلدوها رواد الفكر والتنوير في الجزائر ونقترح تعميم هذه المبادرة الأكاديمية للتعريف بهذه الشخصيات لدى جمهور الشباب الشغوفين للعلم والمعرفة.

9. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

أمال طيبي.2018. *الفكر الإصلاحي السياسي عند الشيخ العربي التبسي، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية*، المجلد09، العدد 03، ص (55-73).الجزائر.

أحمد شرفي الرفاعي.(1984). *الشيخ العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر*، دار البعث للطباعة والنشر، ط 1 ، ج 2 ، ص 218، قسنطينة.

إبن منضور.(2004). *لسان العرب*، دار صادر، ط 3، ج8، بيروت، لبنان.

أبو ريان محمد علي.(1976). *تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام*، دار النهضة العربية، ط-1، بيروت.

احمد أمين.(1933). *ضحى الإسلام*، دار الكتاب العربي، ط-10، ج-3، بيروت.

أحمد عيساوي.(2017). الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري دراسة وصفية تحليلية، *مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، المجلد 7، رقم 7 ص* 267-202.

احمد عيساوي.(2015). *منارات من شهاب البصائر للشيخ العربي التبسي*، 1891-1957م. الجزائر.

العربي التبسي.(1949). ما يجب أن يكون عليه المعهد في السنة الآتية، جريدة *البصائر*، ط2، ع90، الاثنين 1949/09/05، ص2، الجزائر.

العربي التبسي.(1928).*إن كنت حاملا فلي غلاما*، جريدة *الشهاب*، السنة4، العدد 177، 09 رجب 1347ه الموافق لـــ 1928/11/20. الجزائر.

العربي التبسي.(1932). *إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع*، *مجلة الشهاب*،ج-5، م7، ص (188).الجزائر

العربي التبسي.(1928). *بدعة الطرائق في الإسلام*، جريدة *الشهاب*، ع.168 في1928/1/18.الجزائر.

بولحية نور الدين.(2016). *الإتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية*، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الجزائر.

بو جرادة.(2009). *في الذكرى ألـــ 52 لإستشهاد الشيخ العربي التبسي، الشروق العربي الأسبوعي* من 6-12 أفريل 2009، ع 863 – ص5.الجزائر.

رشيد سهلي.(1984). *مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر*، جمع وتعليق احمد شرفي الرفاعي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، ط-1، ج-2 ، ص(22-39).

رشيد سهلي.(2006). *الكتابة الثورية عند الإمام، الملتقى الوطني للفكر الإصلاحي*،ص(7-80،).الجزائر

حشلان علي. (1994). *المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931*-1939[رسالة ماجستير غير منشورة].معهد الإعلام والإتصال، جامعة الجزائر.

علي مراد.(2007). *الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940م بحث في التاريخ الديني والإجتماعي*، دار الحكمة، الجزائر.

عبد العزيز نصيب.(2004).*الرجل الذي نصر الحق بالحجة الدامغة وقارع الإستعمار*. الشروق اليومي5/4، ع 1042. الجزائر.

عبد الكريم بوصفصاف.(1996). *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى*، 1931-1645، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر، الجزائر.

مقداد عرفة منسية.(1995). *علم الكلام والفلسفة*، دار الجنوب للنشر، تونس.

مالك بن نبي.(1957). *شروط النهضة*، ترجمه إلى العربية د. عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، ط.4، دار الفكر، دمشق، سوريا.

محمد علي دبوز.(1981). *أعلام الإصلاح في الجزائر*، دار البعث للطباعة والنشر، ط-1، ج-1، قسنطينة.

مبارك الميلي.(1937). *رسالة الشرك ومظاهره*، مطبعة البعث، دون طبعة سنة1403 ه. ص.أ.ب.؛ قسنطينة.

محمد البغدادي. (2017، يونيو،19). *العربي التبسي، الشهيد الذي طابت له المنازل. حقك في المعرفة الحيقية (الحوار)*.